

## مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد ..  
 فإن العلم حياة القلوب، ونور البصائر، وأفضل العلم: العلم بكتاب الله  
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الهادي إلى أقوم طريق في العقائد والعبادات والسلوك، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ  
 يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

ثم إن مما يحفز ويُبشِّر: أن مدارسة معاني القرآن علامة من علامات الخيرية.  
 عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ  
 وَعَلَّمَهُ»<sup>(١)</sup>.

يظنُّ بعض الناس أن هذا الحديث في تعلُّم ألفاظ القرآن وتعليمها فقط، والواقع أن  
 الحديث يشمل الأمرين: الألفاظ، والمعاني، بل المعاني أولى.  
 قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتعلُّم القرآن وتعليمه يتناول تعلُّم حروفه وتعليمها،  
 وتعلُّم معانيه وتعليمها، وهو أشرف قِسْمِي تعلُّمه وتعليمه؛ فَإِنَّ المعنى هو المقصود،  
 واللفظ وسيلة إليه»<sup>(٢)</sup>.

فنحن هنا نتعلم ونتدارس معاني القرآن، ونرجو أن تُتَوَّج بتاج الخيرية.

وقبل الكلام على النصاب الأول من السورة، ربما يقول قائل:

## لماذا بدأنا بسورة الكهف؟

والجواب: وقع الاختيار على سورة الكهف لأسباب:

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١ / ٧٤).

(١) هي السورة التي نقرأها كل جمعة - وأغلبنا يحفظها بإتقان -؛ فلا بُدَّ أن تكون قراءتنا لها بالتدبر والتفهم.

(٢) هذه السورة ترسم منهج التعامل مع الفتن:

الفتنة في الدين: (قصة أصحاب الكهف)، فتنة الصاحب والجليس: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]، فتنة الدنيا - المال والولد -: (قصة صاحب الجنتين)، فتنة العلم: (قصة موسى والخضر)، فتنة السلطة والمنصب: (قصة ذي القرنين).

فتنٌ متنوعة، فلا عجب أن كانت هذه السورة عاصمةً من أعظم الفتن.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»<sup>(١)</sup>.

ففي خضم هذه الدنيا وما فيها من فتن ومكدرات، وصوارف وملهيات، نحن بحاجة أن نأوي إلى كهف يُظَلُّنا، فكانت سورة الكهف هي ذلك الكهف الذي نأوي إليه في كل أسبوع سائلين الله أن يؤتينا من لدنه رحمة، ويهيئ لنا من أمرنا رشداً، ويعيدنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

(٣) هي سورة قصص، والقصصُ مُحَبَّبةٌ إلى النفس، فيها قصص: أصحاب الكهف، وصاحب الجنتين، وآدم وإبليس، وموسى والخضر، وذي القرنين.

• وسيكون منهجنا بتقسيم السورة إلى مقاطع، ثم الكلام على كل مقطع في وقفات، وهي وقفات هدايات وتأملات من وحي السورة، وليس تفسيراً لها بالمعنى الاصطلاحي للتفسير.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٠٩).

نسأل الله الفقه في كتابه، والعمل به، والدعوة إليه على بصيرة، والصبر على ذلك كله  
.. آمين



## المقطع الأول

من أوّل السورة، إلى قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾** [الكهف: ٢١].

والكلام عليه في الوقفات الآتية:

### الوقفة الأولى: الحمد لله.

الحمد: هو وصفُ المحمود بالكمال، مَحَبَّةٌ وتعظيمًا.

وهو بخلاف المدح الذي لا يلزم معه المحبة والتعظيم، فقد يمدح الإنسان شخصا وهو يبغضه لكن طلبا لمنفعة، أو خوفا من مضرة.

وافتح الله كتابه بالحمد **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الفاتحة: ٢]، وافتح خمس سور بالحمد (الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر). واستحقاق الحمد فيها جاء على جليل الأمور وعظيمها: من إثبات الربوبية، والخلق، وإنزال القرآن، وتمام الملك والتدبير.

ومن أسمائه - تعالى - : الحميد.

الفائدة المسلكية هنا: أن نكثر من حمد الله - تعالى - ، ف«**الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ**»<sup>(١)</sup>، كما

قال رسول الله ﷺ.



(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٣).

الوقف الثانية: أوصاف القرآن.

قال الله - تعالى - : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝١ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١-٢].

جاء في هاتين الآيتين وصفان للقرآن:

(١) أن القرآن مستقيم غاية الاستقامة، لا عِوَجَ فيه.

(٢) أنه نذير وبشير.

وقوله - تعالى - : ﴿لِيُنذِرَ﴾ يحتمل أن تعود على الكتاب أو على عبده ﷺ، وكلاهما صحيح من حيث المعنى. لكن السياق يشير إلى عَوْدِهِ على الكتاب، فهذا القرآن ينذر الكافرين والعصاة، ويبشر المؤمنين.

الفائدة المسلكية هنا: أن نلزم هذا القرآن ونهتدي به؛ لأنه قيّم لا عوج فيه، وأن نسعى في تحقيق الإيثار والعمل الصالح؛ للفوز بالأجر الحسن، والنعيم الأبدي.



الوقف الثالثة: تنزيه الله عن النقائص.

التسييح مَعْلَمٌ ظاهر في الدّين، وهو ذِكْرٌ عظيم، ومعناه: تنزيه الله عن كلِّ نقصٍ و عيب.

ومن أعظم النقائص والعيوب، وأنواع الكفر: نسبة الولد إلى الله - تعالى -!

قال الله - تعالى - : ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٤-٥]. فنسبة الولد إلى الله فرية عظيمة، وكلمة شنيعة، أبطلها الله بأشد العبارات في كتابه.

وقال - تعالى - : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٨ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٨٩ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩٠ وَمَا يَتَّبِعِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ ﴾ [مريم: ٨٨-٩٢].

هذه الكلمة اشترك فيها: اليهود الذين قالوا: عزير ابن الله، والنصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، وبعض المشركين الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

فهؤلاء أطلقوا هذا الكذب بلا علم عندهم، ولا عند آبائهم.

وجاء إبطال هذا القول من ثلاثة أوجه:

(١) أنه قول لا دليل عليه.

(٢) تعظيم هذا القول واستشناعه: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾.

(٣) الحكم بأنه كذب بأسلوب النفي والاستثناء: ﴿ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾.

الفائدة المسلكية هنا: أن نعظم ربنا في قلوبنا، ونلهج بالتسبيح والتنزيه له.



#### الوقفه الرابعة : العبرة بالعمل دون الأثر.

هذه قاعدة دعوية، ترشدنا أن نهتم بالعمل بنشاط وهمة، ولا تؤثر علينا النتائج. فحينما

تسلك عملاً دعويًا كتعليم قرآنٍ أو علم أو نشر للخير، فالنتائج قد تكون:

- مُبْهَرَةٌ، فهذه تسرُّ ولا تغرُّ. احمد الله، ولا تعجب بعملك.

- مَحْبُطَةٌ، فلا تُفْعِدْكَ عن العمل، ولا تقتل نفسك غمًا وهمًا وأسفًا.

قال الله - تعالى - : ﴿ فَالْعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ عَائِرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ

أَسْفًا ﴾ [الكهف: ٦]، أي: لعلك مُهْلِكُ نَفْسِكَ حزنًا وأسفًا إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فلا

تفعل، فليس عليك هدايتهم، وإنما عليك البلاغ. وقال - تعالى - أيضا: ﴿فَلَا تَذْهَبْ

نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨].

إن الغم والأسف الذي يجده بعض الدعاة حينما يرى ضعف أثر دعوته؛ ينعكس سلباً على مهمته، حيث تضعف قواه، وتتأثر نفسيته، فيفقد الدافع والمحرك للعمل.

فمثلاً: حينما تبدأ في حلقة تعليم ثم لا ترى إقبالا، أو ترى ضعفاً وعدم حماس، أو حينما لا ترى تفاعلاً مع منشوراتك الدعوية = فلا تُهلك نفسك حزناً وأسفاً، فأنت تعمل لله، والله يراك ويعلم عملك، ويريد منك أن تعمل، وليس عليك النتائج.

مَكَثَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ، ويأتي النبي من أنبياء الله يوم القيامة وليس معه أحد!

فمقياس النجاح عندنا ليس بالأثر الظاهر، وإنما نحن مطالبون بالعمل، والنتائج ليست إلينا.

الفائدة المسلكية هنا: أن نعمر أوقاتنا بالعلم والعبادة والدعوة، والنتائج أمرها إلى

الله.



#### الوقفه الخامسة: التحذير من فتنة الدنيا.

من منهج القرآن الذي يحسن أن نتلمسه ونحن نتلو الآيات: تصحيح منهج النظر

والفكر. قال الله - تعالى - : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَتَّبِلُوهُمْ أَهْلُهُمْ أَحْسَنُ

عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٧-٨].

كل ما تراه من زينة وجمال وبهرج وزخرف، أبراج وأسواق وقصور، سيارات وطائرات، مجوهرات وتُحف وأجهزة، وغير ذلك، كله سيفنى ويذهب، وتصير الأرض جرداء.

كلُّ هذا امتحان وابتلاء، مآله إلى الزوال والفناء.

تأتي هذه الآية تمهيدًا لقصة أصحاب الكهف لتصحيح القيم والمبادئ، لتقول لنا: كهفٌ مظلم في جبلٍ موحش مع الإيمان؛ خيرٌ من قصرٍ مشيد فاخر مع الكفر والضلال. هكذا يُصنع الوعي، وهكذا يُهدَّب الفكر والنظر.



#### الوقفة السادسة: قصة الكهف.

جاءت القصة مرتين، إجمالاً ثم تفصيلاً.

الإجمال في أربع آيات، قال الله - تعالى - : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ١﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ٢﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا ٤﴾ [الكهف: ٩-١٢].

ثم جاء التفصيل بعدها مباشرة، بدءاً من قوله - تعالى - : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ

بِالْحَقِّ ٥﴾ [الكهف: ١٣].

وقصص القرآن أحسن القصص. وهي قسان:

(١) قصص الأنبياء.

(٢) قصص غير الأنبياء، ومنها قصة أصحاب الكهف.



• ومن الدروس والعبر في هذه القصة:

أولاً: دينك أعزُّ ما لديك.

فهؤلاء الفتية تركوا حياة المدينة والراحة، ولجؤوا إلى كهف مظلم في جبل موحش، فرارا بدينهم، وصيانة لعقيدتهم وإيمانهم. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُضْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَالِطِ النَّاسَ، وَدِينَكَ لَا تَكَلِّمَهُ»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: نعمة الربط على القلب.

الربط على القلب نعمة عظيمة، ومددٌ من الله - تعالى -، وقد ورد في القرآن ثلاث مرات<sup>(٣)</sup>.

ومعناه: تقوية القلب بالصبر والثبات، والسكينة والطمأنينة.

فهؤلاء الفتية ربط الله على قلوبهم، وأمدهم بمدده وعونه.

وبعض الناس يصاب بكربٍ ومصائبٍ شديدةٍ في حياته، لكن ينزل الله عليه الثبات والصبر، ويفيض على قلبه الطمأنينة والرضا، وهكذا يكون الربط على القلب.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١١٨).

(٢) أخرجه وكيع في الزهد (٥٣١)، بإسناد صحيح، وعلقه البخاريُّ في صحيحه (باب الانبساط إلى الناس، ٣٠/٨)، مجزوماً به.

(٣) الموضوعان الآخريان - في غير سورة الكهف - في قول الله - تعالى -: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا ۗ إِن كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفصل: ١٠]، وقوله - تعالى -: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

وهو لطفٌ من الله اللطيف، كيف صار الكهفُ الموحد القفرُ فضاءً ورحمةً وراحة!  
ثالثا: تقرير الألوهية بالربوبية.

وهذا أسلوب قرآني في تقرير توحيد العبادة. وشاهدُه في قول الله - تعالى - : ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

رابعا: التعلق بالله وحسن الظن به.

وهذا باب عظيم من أبواب الإيمان، تأمل قولهم: ﴿فَأَوْرَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]، وقولهم: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

إن هذا درس ورسالة لكل مكروب، ومُضَيِّقٍ عليه في دينه، وغريبٍ في بلده وبين أهله أن يتوجه إلى ربه في ضراعة مع إخبات، وابتهاال مع إقبال: أن ينشر له رحمته، ويوسع عليه ضيقه، ويفتح له أبواب الخير والنفع والفرج.

أَلَا فَاضِرُّ عَلَى الْحَدِيثِ الْجَلِيلِ      وَدَاوِجَ وَاكٍ بِالصَّيْرِ الْجَمِيلِ  
وَلَا تَجْزَعُ فَإِنْ أَعْسَزْتَ يَوْمًا      فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِي الزَّمَنِ الطَّوِيلِ  
وَلَا تَظُنُّنْ بِرَبِّكَ ظَنَّ سَوْءٍ      فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ<sup>(١)</sup>

خامسا: لطف الله وكرامته بأوليائه.

وظهر هذا في عدة أمور ومشاهد من القصة، من أعظمها هذه الكرامة العظيمة بهذه النومة الطويلة، وما هيا لهم من الأسباب في حفظهم وصيانتهم.

(١) «الفوائد المنتقاة والغرائب الحسان» (ص: ٥٣)، والأبيات تنسب لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَكَمْ لِّلّٰهِ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ      يَدِيقُ خَفَاهُ عَنِ فَهْمِ الذِّكْرِ  
 وَكَمْ يُسِرُّ أَتَى مِنْ بَعْدِ عُسْرِ      فَفَرَجَ كُرْبَةَ الْقَلْبِ الشَّجِيِّ  
 وَكَمْ أَمْرٍ تُسَاءُ بِهِ صَبَاحًا      وَتَأْتِيكَ الْمَسْرَّةُ بِالْعَشِيِّ  
 إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الْأَحْوَالُ يَوْمًا      فِثْقَ بِالْوَاحِدِ الْفَرْدِ الْعَلِيِّ<sup>(١)</sup>  
 سادسا: الأخذ بالأسباب.

حيث فروا بدينهم، ولجأوا إلى كهف يؤويهم، ولم يواجهوا قومهم لعدم قدرتهم على ذلك.

سابعا: الاستناد على العلم والبرهان.

وهذا منهج قرآني سلفي، يظهر هنا في قول الله - تعالى - : ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ [الكهف: ٤-٥]، وقوله - سبحانه - : ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥].

فوطن نفسك - يا طالب العلم - أن تبرز<sup>(٢)</sup> إلى الكتاب والسنة، وتنهل منهما، وإياك أن تقدم عليها رأياً فقهياً أو بحثاً جدلياً أو خيلاً صوفياً أو تناقضاً كلامياً فلسفياً.



(١) «معجم الأدباء» (٣ / ٩٩٦)، والأبيات للحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب.

(٢) أرز إلى المكان: لجأ إليه. ينظر: «لسان العرب» (٥ / ٣٠٥).

### الوقفة السابعة: التدرُّب على تنمية ملكة الاستنباط.

نرى أن الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ استنبط سبع فوائد من آيتين، من قوله - تعالى - :  
**﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ...﴾** [الكهف: ١٩]، إلى قوله - سبحانه - : **﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾** [الكهف: ٢٠].

والاستنباط: استخراج ما خفي من النص بطريق صحيح.

وهذه ملكة يفتح الله بها على من يشاء من عباده، ولها أسباب، منها: التدرُّب والممارسة، ومنها: معرفة أنواع الدلالات، وإحكام علوم اللغة وأصول الفقه.

الوقفة الثامنة: توجيه الاستدلال بقوله تعالى: **﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾** [الكهف: ٢١].

هذه مسألة إثرائية؛ فإنَّ هذه الآية من أشهر أدلة القبوريين، ووجه الدلالة فيها - عندهم - : أن قوله - تعالى - : **﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾** [الكهف: ٢١]، معناه: لتتخذنَّ على قبرهم مسجدا للعبادة. وشرعٌ من قبلنا شرعٌ لنا، وقد حكاها الله - تعالى - ، ولم يعقبه بما يدل على رده وإنكاره، مما يدل على رضا الله وإقراره لعملهم.

والجواب على هذه الشبهة من وجهين:

(١) على التسليم بأن شرع من قبلنا شرعٌ لنا، فهو مقيد بما إذا لم يرد شرعنا بخلافه، وقد جاء شرعنا بإبطال ذلك في نصوص كثيرة، فيها: النهي واللعن والحكم بأنهم شرار الخلق يوم القيامة، أعني: من اتخذ القبور مساجد.

(٢) لا يُسلم بأن ذلك شرع لهم - أيضا - ؛ إذ ليس في الآية دلالة على أن ذاك المذكور كان شرعاً لهم، بل غاية ما في الآية أن جماعة من الناس قالوا: **﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾**

**مَسْجِدًا** ﴿الكهف: ٢١﴾، وليس في الآية تصريحٌ بأنهم كانوا مؤمنين. وعلى التسليم بأنهم مؤمنون، فلا يلزم أنهم كانوا صالحين يقتدى بهم.

بل جعل ابن رجب رَحْمَةً لِّلَّهِ هذه الآية دليلاً على المنع، فقال: «وقد دلَّ القرآن على مثل ما دل عليه هذا الحديث، وهو قول الله - عز وجل - في قصة أصحاب الكهف: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]، فجعل اتخاذ المساجد على القبور من فعل أهل الغلبة على الأمور، وذلك يُشعر بأن مستنده القهر والغلبة واتباع الهوى، وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل المنتصر لما أنزل الله على رسله من الهدى»<sup>(١)</sup>.

وجاء ذلك بعد قوله - تعالى -: ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]، فهناك تنازع بين طرفين، ولا بُد في التنازع من الاختلاف والانقسام.



(١) «فتح الباري»، لابن رجب الحنبلي (٢ / ٣٩٧).